جمالية الانزياح الدلالي في شعر علي فودة

خطوي العيفة

جامعة الأغواط

Aifa.khatoui03@gmail.com

الإميل المهني:El.khatoui@lagh-univ.dz

المشرف: ميهوب جعيرن

جامعة الأغواط

mihoubjirane@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/11/16 تاريخ القبول: 2020/03/14. تاريخ النّشر: 15 /2020/06

الملخص:

سنحاول في هذا المقال تتبع أحد وأهم جماليات النّص الشعري ، والمتمثلة في الانزياح الدلالي في مدونة الشّاعر الفلسطيني المقاوم علي فودة باعتبار هذا الأخير (الانزياح الدلالي) سمة من سمات اللّغة الشعرية ، وذلك لما له من تأثير كبير واضح في خلق جمالية النّصوص الشعرية ، وقد اعتبر من أهم الظواهر التي يمتاز بها الأسلوب الشعري عن غيره ، فهو يميز لغة الشاعر عن غيرها ، ويمنحها خصوصيتها وتوهجها.

الكلمات المفتاحية:(الانزياح الدلالي ؛ جمالية ؛ الشعر الفلسطيني المعاصر ؛ علي فودة).

The aesthetic of semantic displacement in ali fouda s poetry

Abstract:

of the ، In this article we will try to trace one of the most important aesthetics poetic text represented by the semantic displacement in the poet alifouda s feature of poetic language ، blog as the latter (semantic displacement)

because of its significant and clear impact un creating aesthetic texts has been considered one of the most important phenomena poetic style from other it ، distinguishes the language of the poet from others and gives them privacy and glow.

Key words : semantic displacement — aesthetics of palestinian poetry

1- مقدمــة:

الخروج عن المألوف سمة تحذو الشعراء المعاصرين إذ يسعى المبدعون دائما إلى تحقيق نوع من الأسبقية والابتكار ، وذلك من خلال استعراض مهارتهم الفنية وقدراتهم الإبداعية ، ممّا جعلهم يستندون إلى أمور كثيرة عند تكوين التجربة وتشييد بنائها ، فمنذ شرارة الانفعال والتأثر يُخرج الشّاعر أدواته من مفردات وأساليب وأخيلة وموسيقى يؤسس بها أبيات القصيدة متوخيًا التأني والتأنق في اختيار لفظ دون الآخر ، وهو في ذلك كله يتخذ مطية الانزياح أساسًا يَعتمد عليه ، ويُشكل به جوانب تجربته من مُنطلق أنّه انزياح متعلق بجماليات النّص الشعري [1].

2- تعريف الانزيــاح:

2-1 لغــة:

جَاءَ في لسان العرب في مادة (زيح) :" الزّوح تفريق الإبل ، ويُقال الزّوح جمعها إذّا تفرقت و الزّوح الزولان .[2]

شمّر زاح و زاخ بالحاء والخاء بمعنى واحد إذّا تنحى ومنه قول لبيد بن ربيعة:

لَوْ يَقُوم الفِيلُ أو الفَيَّالة *** *** زَاحَ عَنْ مِثْلِهِ مَقاَمِي وزَحَل

قال: ومنه زاحت علته وأزحتها أنا ، وزاح الشيء زوحا ، وأزاحه (أزاحه عن موضعه ونحّا.

ويقول ابن فارس:" نزح (النون والزاي والحاء) كلمة تدل على البعد ، ونزحت الدار نزوحا بعُدت ، وبلد نازح ومنه نزح الماء ، كأنّه يباعد به عن قمر الب يُقال نزحت البئر ، استقيت ماءها كله ، وبئر نزوح قليلة الماء و آبار نُزّح[3].

أما الخليل بن أحمد الفراهيدي فيقول في كتابه العين: " يذهب إلى أن نزح بمعنى نزحت الدار تنزح نزوحا أي: بعدت[4].

ويقول ذو الرمة في هذا الباب:

يا مخرج الروح من جسمي إذا احتضرت *** وفـارج الكـرب زحـزحني عــن النار

فالمتأمل لهذا البيت الشعري يدرك أنّ مدلول كلمة الانزياح تدل عن البعد[5].

ومنه فهذه المفاهيم اللغوية متصلة أساسا بالمفهوم اللغوي للكلمة التي تعني الابتعاد والخروج.

2-2 اصطلاحا:

لقد تباينت مفاهيم الانزياح لدى النقاد والأسلوبيّن وذلك بسبب المواضع والصياغات المختلفة لهذا المصطلح ومنها: "هو انحراف الكلام عن نسقه المألوف وحدث لغوي يظهر في تشكيل الكلام وصيّاغته ، يمكن بواسطته التعرف إلى طبيعة الأسلوب الأدبي[6].

والانزياح مصطلح غربي وافد إلينا من الدراسات الأسلوبيّة الغربيّة المعاصرة وهو يعني: الابتعاد بنظام اللغة عن الاستعمال المألوف ، والخروج بأسلوب الخطاب عن السنن الخطابيّة الشائعة فيحدث في الخطاب تباعدا (انزياحا) يتيح للشّاعر التمكن من محتوى تجربته وصيّاغتها بالكيفية التي يراها كما يحقق للمتلقي متعة وفائدة[7].

وهذا يدل على أنّ الانزياح جاء كاستعمال لخرق النمط الكلامي المعتاد ، فيعطي بذلك للشاعر حرّية التمردعلى ما جرت العادة على استعماله ليجعل بذلك الخطاب خطابا مفتوحا على التأويل غنيّا بدلالات لا تنتهي فيصبح بذلك نصا متجددًا لا تصل إلى أسراره وكنهه من الوهلة الأولى تجعل من الأديب يبدع ويُحلق ويُعبر بصورة جديدة تفتح المجال أمام التجاوزيةاللّغوية غير مبالية بالقوانين والقواعد المقيدة للإبداع الشّاعر وحريته.

فالانزياح يقيم هوّة وفجوة ، ومسافة توتر بين الموجود في اللّغة ، والموجود في عالم الحس ، وكل ذلك تتولد عنه مسافة جمالية لا تقول الأشياء ولا تسميها ، وهي الآن ذاته تقولها وتقاربها ، فالانزياح يجعل اللّغة تقول أكثر ممّا تعودت أن تقوله ، فهي تفعل ذلك تلميحا لا تصريحا وإشارة لا توضيحا[8].

فالانزحات الدلالية تتحقق من خلال محاولة الشاعر تطويع اللّغة لتتلاءم مع يريده من معنى لأنّ اللّغة إبداعإنساني ونتاج للروح والفكر ، وهي اتصال ونظام ورموز تحمل الأفكار ، وتظهر جمالية النّص وقدرة الشاعر من خلال عرض هذه المنتجات بنمط إبداعي يخالف التعبير العادي الذي لا يحمل أي صنعة أدبية ، وهذا يعني أنّ التوصل إلى المعنى المراد تم عن طريق مخالفة ومغايرة المعتاد وهذه سمة أسلوبية تعتمد على كسر التوقع لأنّ عدم التوقع يزيد من انتباه المتلقي ويفاجئه وهنا يظهر التأثير الأسلوبي الذي يؤدي حتما لتوافق شدة القارئ مع شدة الإرسال [9].

لأنّ اللّغة الشعرية تلعب دورها الأساسي حتى أصبح النّص لغة ، ومبدع الأدب ينطلق أصلا من ثروة لغوية يختزنها الشّاعر في رصيده المعجمي فيصنع منها لغة جديدة فكأنّ المسألة أصبحت تحول اللّغة من حالة إلى أخرى ، وليست خلقا من عدم ، وهذا التحول تتجلى فيه عملية تخليص الكلمات من قيود الاستعمال المألوف وتطهيرها من الممارسة اليومية التي تصيبها بالابتذال ، وبعث الحياة فيها من جديد بعد أن جمّدها الاستعمال اليومي المتكرر[10].

فالشاعر المبدع لا يعطيك اللغة كما تسلمها ولا يصوغها بنفس دلالاتها المعجمية الرتيبة ، وإنّما يضيف إليها من فكره وفنه ومشاعره ، ممّا يجعلها تتجاوز معانيها الإشارية إلى دلالات جديدة سواء على مستوى التركيب أو التصوير ، وهذا بالانتقال باللّغة إلى درجات متعددة ومغايرة في الدلالة[11].

فينزع بذلك النّص الشعري إلى إثبات ذاته ووجوده ، وذلك من خلال تميزه واختلافه عن النصوص النثرية المتداولة بين الناس ، فيتعالى ويسمو على دعائم التقليدي والمألوف بتمرده عن القاعدة وشرخها ، لأنّ لغة الشعر لغة خاصة في بنائها وتراكيبها لا تخرج مفرداتها عن حدود المألوف لكنّها تنفرد في قدرتها على استيعاب الصورة المختلجة في وجدان الشعراء

باستعمالهم تلك اللّغة استعمالا يخرج بها عن تلك الحدود ، لأنّ الوظيفة الرئيسية للفن الشعري في مناهضة عملية التعويد التي تشجعها رتابة الصيّغ اليومية للإدراك ، إنّنا نتوقف بكل سهولة عن رؤية العالم الذي نعيش فيه ونفقد الإحساس بسماته المميزة ، ويهدف الشعر إلى أن يقلب العملية وجعل ماهو مألوف غير مألوف .فالدلالة في النّص الشعري تتجاوز الصورة الحرفية ، حيث يعمل الشاعر على الخروج بالكلمات من قاموسيتها القديمة الجامدة ، وهو إذ يفعل ذلك لا يعطي في الواقع مرادفا جديدا تماما للكلمة ، ولكنّه فقط يدخلها في سيّاق جديد من صنعه ، وهذا السيّاق الجديد يتضامن مع الكلمة لإيجاد فضاء القصيدة الخاص بها[12].

لأنّ فاعلية السيّاق هي التي تساعد الكلمة على تجاوز بعدها المعجمي إلى دلالات جديدة ، لذا فإنّ النظرية السيّاقية مهمة في عملية التحليل إذ تقف على الانحراف عن دلالة الموضوعة لخدمة الدلالات الخاصة التي يأتي بها التوظيف المتفرد للغة[13].

فالقصيدة الشعرية هي عبارة عن نتاج استفزاز لما يكمن في نفس الشّاعر ودخيلته استفزازا وتفجيرا وبناءً يحمل في طياته كل لغات العالم في لغة واحدة تجتمع في كم وجداني يظهر شاعريته ويتجدد كلما تجدد النظر في القصيدة وأعيدت محاولة فهمها لأنّ كل عمل فني هو موضوع مفتوح على تذوق نهائي ، وفي الوقت ذاته هي استفزاز لم يكتمل بعد لأنّ اللّغة لا يمكن أن تفي كل ما يختلج في نفس الشاعر فهي تبقى عاجزة ولا نعني باللّغة هنا سوى لغة

الشاعر الشخصية وموروثه وأدواته ، ومن هنا نراه يطمح إلى أن يعطي نفسه حق المطاولة والتجديد ، وإضفاء صفة التغير المستمر[14].

"لأنَّ طواعيّة اللّغة وقدرة الشّاعر على الاستعمال هما العنصران الأساسيان في إحداث هذا النوع من الانزياح ، رغم أنّ الأصل في مواضعة اللّغات في مبدأ النشأة أنْ يكون لكل دال مدلول واحد غير أنَّ جدلية الاستعمال ترضخ عناصر اللّغة إلى تفاعل عضوي بموجبه تنزاح الألفاظ تبعا لسياقاتنا في الاستعمال عن معانيها الوضعية ونحن إذا تحدثنا عن عملية الاختيار فذلك يعني وجود عملية اصطفاء لوحدة لغوية من بين عدة وحدات وهذه معجمية في ذهن المتكلم[15].

وهذا ما سَنُحاول تسليط الضوء عليه من خلال إبراز أهم الصُور الاستعارية والرموز المستلهمة في قصائد شاعر المقاومة الفلسطينية علي فودة .

3- الاستعـارة:

"تعد الاستعارة أسلوباً يُخرِج اللفظة من دلالتها الحرفية إلى دلالات أعمق وأوسع حتىّ تغدو اللفظة حزمة من المعاني ، وتستطيع الاستعارة حمل رؤية الشّاعر وهمومه النفسية ، وتتعدى ذلك إلى خرق المألوف ، والخروج عليه فتكون أسلوباً يستثير القارئ ويدفعه إلى البحث عن تلك المعاني التي تقف وراء النّص"[16].

فالاستعارة تُبعد الكلمة عن العالم الذي نشأت وترعرعت فيه إلى فضاء غريب لم تعهده من قبل ، فتنقلها إلى عالم غير مألوف.

فتلعب بذلك الدور الجمالي الخالق في بناء الخطاب الشعري ، بحيث يجعلها سر الشعر المطلق ، السر الذي انتبه إليه عبد القاهر الجرجاني حينما حاول توضيح خصائصها[17] ، قائلا: «فإنّك لترى بها الجماد حيًا ناطقًا ، و الأعجم فصيحًا ،والأجسام الخرساء مبنية والمعاني الخفية بادية جلية».

فالاستعارة تعبر عن المفاجأة التي يجدها المتلقي من ذلك الانزياح الناجم عن عدم الانسجام الدلالي ، فيبدأ المتلقي بحل شفرة الرموز الدلالية ،لأنّ الاستعارة من شأنها إلغاء الحدود الفاصلة وهدم الفواصل فيتحد الطرفان (المشبه والمشبه به) ليصبحا أنّهما واحد غير منفصلين ومتناقضين[18].

«ويرى جان كوهن بأنّ الاستعارة خرق لقانون اللّغة....ومكملةلكل الأنواع الأخرى من الصور ،وإنّ الصور كلها...تهدف إلى استشارة العملية الاستعارية ،وللاستراتيجية الشعرية هدف واحد هو استبدال المعنى»[19].

"فالاستعارة إذن ، بنية جمالية منحرفة ونسق له نظامه الخاص الذي يقوم على مبدأ التشابه المضمر بين العناصر المتنافرة"[20].

ومن أروع الاستعارات التي أثرت قصائد الشاعر الفلسطيني علي فودة اخترنا بعض النماذج ومنها قولـــه في قصيـدة: **"الملعون"**

إنّه الشيطان
ماذا يبتغي الشيطان في الفجر ؟
سريري جائع .. ماذاق
طعم امرأة منذ شهور الغدر
ماذا يبتغي الشيطان من أحمق هذا العصر ؟
قلبي طافح بالرعب منذ غادره العشب
عذاب في فمي
لا تقترب أكثر ..مشبوه دمي
حاذر من الأنفاس
ملعون أنا .. ينبذني الناس
فحاذر.[21]

فتمكنت هذه الأبيات الشعرية بأن تطفح بكل ما يناقض الدلالة الصريحة ، تلك الدلالة المعروفة والمعهودة ، إذ يصدمنا بما لا تتعود عليه أذاننا" سريري جائع".

لأنّ قيمة الصورة الشعرية التي أفرزها الخيال لا ترجع إلى محاكاة الأشياء والإحساسات كما هي في الطبيعة ، بل ترجع إلى قدرتها على طرح الأشياء في هيئة جديدة في لغة غير مألوفة للمتلقي ، من خلال علاقات جديدة في اللّغة ممّا يضيف وعياً وخبرة جديدة. فتمكنت هذه الأبيات الشعرية بأن تطفح بكل ما يناقض الدلالة الصريحة ، تلك الدلالة المعروفة والمعهودة ، إذ يصدمنا بما لم تألفه وتتعودعليه أذاننا حينما قال "سريري جائع ما ذاق طعمحلو ".

ويقول في قصيدة : "فلسطين أمي"

أنا من أمة أيامها تشهد

مفاخرها

وعهد النصر في تاريخها يشهد

فمدّوا يا أحبائي أياديكم

لتنزل جثة المصلوب في المعبد

وندفنه

لعل الروح قد تصعد

لأتلو آية فيكم

وعهد الله والزيتون يا " قنّير" إنّ دمي

سيروي الجرح حتى تزهر الصلبان من حممي

لأطمس غربتي في ذمة الزمن

إلى الوطن ..

إلى الوطن[22].

إذ كشف الانزياح الدلالي الذي جاء عن طريق الإسناد (تزهر الصلبان) عن طابع المقاومة الذي يستمده الشاعر من المكان ، فأسند الازدهار إلى الصلبان في علاقة غير مألوفة على المستوى الدلالي لكنّها أكثر قبولا على المستوى الشعري الذي يوّحد بين المتناقضات ، ليعبر عن رؤية الشاعر بالتحرر ويؤصل الاتجاه المقاوم في الوجدان العربي ، ويصقله بالشخصية الفلسطينية".[23]

فكان هذا التشخيص بمثابة العنصر المهم في تشكيل هذه الصور الاستعارية الفنية المثقلة بالإيحائية الدلالية ، التي تنم عن ألم كبير يتكبده الشاعر.

فهي رافد من روافد إغناء النّصوص الشعرية بالدلالات الثرية و المؤثرة ، في نفوس المتلقين فتجعلهم أكثر تفاعلاً مع هذه الخطابات الشعرية المترسبة في الشعور و اللاّشعور.

"واللاّشعور في النّص أثر خالص لا يظهر إلاّ في بعض أجزاء النّص التي لا تنفذ دلالتها ، لأنّها تنتج المعنى عند كل قراءة جديدة ، فهو يشتمل كل القيّم الدلالية التي يخفيها النّص ، والتي لا تطفو على السطح إلاّ عند كل قراءة[24] ، ممّا يعكس انزياحا لغويًا صارخًا وواضحًا ، يمتاز بالصدامية ومخالفة منطق الأشياء ، "فالصلبان" في معناها المعجمي تحمل معنى السكون والجماد.

لكن الشّاعر علي فودة خالف أفق التوقع ، بجعله الصلبان تزهر وذلك من أجل أن يثير مخيلة القارئ ، ويدخله في دوامة من التخمين والتأويل ، ويستفز كفاءته القرائية من خلال الانزياح الذي استنطق مالا ينطق ، وحرك الجماد الذي لا يتحرك.

لأنّ هناك اعتزاز كبير يملأ وجدان الشّاعر بأرضه ووطنه فلسطين ، فجعل من خطابه الشعري لأنْ يكون ملحمة حقيقية لفلسطين ومُدنها المسلوبة .

ويقول في قصيدة: "من المحيط إلى الخليج"

هذي الحياة تنام ملء جفونها

هذا المساء

والنجم يضحك في غباء

وكأنّما ساد الرخاء

في الأرض . وانقطع النشيج

بحناجر الأطفال في وطني الكبير

من المحيط إلى الخليج

الأرض عطشى والبذور

والتربة المعطاء باتت كالحجر[25]

استثمار الشاعر الفلسطيني علي فودة لفاعلية التشخيص التي تجلت وتمظهرت ملامحها الجمالية بقوله : هذي الحياة تنام ملء جفونها فرسم أروع الصور الشعرية ، لحياة أبناء

الشعب الفلسطيني قائمة على التشخيص والتجسيم، تنبض مفعمة بالحركة والأمل، والصوت، واللون، فشبه حياة شعبه بالإنسان الذي ينام ملء جفونه ، وذلك لما يحياه الشعب الفلسطيني من روتين قاتل، ومشاهد مكررة مجتها العقول، وتيبست منها القلوب، وأحلام بالعودة باتت في طي النسيان، ووعود بالرجوع إلى الوطن لم يتحقق منها شيئ، فالحركة جامدة يلفها الحزن والسكون، فقد غدت الأرض حبلى بالدماء، حيث شبهها بالأنثى التي تحمل حملا مزيفا[26].

إنّ هذه المنافرة الاسنادية التي جاء بها الشّاعر في قـولـه "الحياة تنام ملء جفونها " محملة بتصوير يعبر عن قمة المأساة، وضرب من الانزياح المعبر عن الإثارة والإدهاش، فالقارئ يتفاجأ من حصول اللاّ منتظر من خلال المنتظر، بمعنىأنّ الانزياح الحاصل هاهنا خدم النّص أولا وذلك من خلال إضفاء جمالية عليه، وخدم القارئ من جهة أخرى وذلك من خلال ما خلفه من متعة نفسية وفكرية لديه ، فقيمة الانزياح في أنّه يرمز إلى صراع قارّ بين اللّغة والإنسان وهو عاجز أن يسلم بكل طرائقها، وهي عاجزة أن تستجيب لكل حاجاته، وهذا ما دفع الشاعر علي فودة للانزياح لأنّ فيه احتيال على نفسه لسد قصوره وقصورها معا.

وبهذا نقول أن التصوير يُعد وسيلة من وسائل تحقيق الانزياح و خصيصة من خصائص التعبير الشعري، لأنّ الشاعر وعبر التصوير، إنّما يتجاوز النظرة الجامدة إلى اللّغة ومفرداتها إلى البحث والكشف عن حيويتها ونشاطها وديمومتها ولا يتحقق ذلك إلاّ من خلال خلق صور لغوية متفردة ومتميزة يشتقها الشاعر من تجربته وإحساساته الذاتية ويُغاير بها ما هو مألوف، فيجعل القارئ يقرأ المكان بشكل مغاير بحيث لا يرى الجغرافيا التي ألف صورها ،ولكنّه يتخيل صورا إضافية أخرى أكثر تشويقا وإثارة.حقيقة بشعة ألبسها شاعرنا علي فودة تعبير استعاري واضح، ولغة كاشفة للواقع المتردي وانعكاساته النفسية ،بعدما أدرك الشّاعر أنّ مفردات اللّغة تحمل طاقات إيحائية بالغة التأثير في المتلقين، إذ أنّها بتوظيفها في النّص الشعري، تتحول إلى حالة أخرى تختفي فيها سياقاتها المعجمية، لتتلبس بأبعاد جديدة تفصح عن مكنونات مبدعها، وحالته النفسية وتنقل التجربة إلى المتلقي بأساليب فنية مختلفة.

إنّها حقا لذة الكتابة وجمالها، التي تنسج وتبدع مثل هذه اللّغة الغائمة التي تحتفي بالاستعارة، ليس في بعدها البلاغي الجزئي، بل في بعدها النسقي الشمولي، ولا شك في أنّ الانحراف والتجاوز الماثل في ألسنة الأشياء والتراسل بين علائقها والتوسل بالحس لاقتناص

شوارد الرؤى ، لأنّ النّصوص الشعرية ذات طبيعـة هاجسية ، تنأى عن الوضوح ، وتتأبى التخطيط الحاسم أو البناء الجاهز ، ممّا يعني أنّ زمانها لا يكون بيد الشاعر على نحو فاصل ، ففي أثناء حالة التداعي التي تلتبس الشاعر قد تسلك القصيدة الشعرية بصاحبها مسالك لم تكن في حسبانه ، وقد تبلغ به مرامي لم يستهدفها ولم يكن ينتظرها لحظة الكتابة. "

فهو خطاب يشخص المواد الحسية الجامدة ويكسبها إنسانية الإنسان وأفعاله فالتشخيص وسيلة فنيّة قديمة عرفها شعرنا العربي والشعر العالمي منذ أقدم عصوره وهذه تقوم على أساس تشخيص المعاني المجردة ، ومظاهر الطبيعة الجامدة في صورة كائنات حيّة تحس وتتحرك وتنبض بالحياة."

لتتسع العلاقات الانزياحية ، مستوعبة موقف الشاعر علي فودة من الحياة وفق دلالات جديدة ، تنسف معطيات اللغة ، التي تنساق خلفها القراءة التقليدية للنص فنجده يبدع تراكيب جديدة ، ذات أبعاد رمزية[27].

4- توظيف الرموز التراثيـة في شعر علي فودة:

يُعتبر التراث من أثرى المنابع التي يعـود إليـهـا الشّاعـر المعـاصر ، ليغـترف من مناهلها ويتزود بذخائرها ، لأنّه يعرف قيمته الفنية ودوره في ارتقاء الأثر وإعطائه الحيوية والأصالة عودة الشّاعر المُعاصر إلى التراث عودة فنية ، لا تقوم على أساس المتابعة ، هو يستلهـم التـراث في نـتـاجاته الأدبية ليعبر بها عن خوالجه الوجدانية وعن تجاربه الشعرية.

فالتراث غني بالمضامين والدلالات والرموز المختلفة ،التي تُساعد الشّاعر في التعبير عن ما يختلج في نفسه بشكل يُثير ذهن المتلقي للبحث عن الفحوى ، ويحفظ الشّاعر من القهر السياسي والاجتماعي الحاكم على المجتمع .

وللتراث أهمية وافرة في بناء القصيدة الحديثة وأصبح جزءاً من البناء الشعري فالمصادر التراثية التي يَستلمها الشّاعر المعاصر متنوعة ، مصادر دينية ومصادر أدبية ، ومصادر أسطورية ، ومصادر شعبية ،و مصادر تاريخية.

فقد شكلت قضية التراث تحديًا حقيقيًا على مستوى الموقف الفكري ، والتشكيل الجمالي ،أمام أدباء كل جيل فالتراث أحد مصادر الإلهام الرئيسية ، ومن أهم الأسباب الرئيسية لعودة الشعراء إلى التراث هذا الواقع الذي يعيشه ويفرض عليه توظيف

التراث ،فالشعراء مهما زاد شوقهم للتجديد ، وكسر التقاليد ،ليس باستطاعتهم التخلص والانفلات من قبضة الماضي"[28].

للتراث أهمية بالغة للشّاعر العربي المعاصر ، فهو يستمد منه الرؤية والتاريخ والهوية ، وقد وظفه الشعراء المعاصرون ، لتحقيق أكبر قدر ممكن من التواصل مع التراث ، و لإضفاء سمة الحداثة والجدة عليه ، ورغبة في التعويض العاطفي ،وربّما رهبة من وطأة زمن العجز الذي يحويه ، وهربًا إلى أحضان الماضي ، الذي يبدو مجيدًا أو مثاليًا بالقياس إلى الحاضر ،وقد استطاع الشعراء المعاصرون من خلال الإشارات التراثية ، أن يعبروا عن رؤاهم الإنسانية والحضارية ، وأن يعيدوا رسم الواقع وفق رؤية تتساوق مع الحاضر ، وتكشف عن شهادة إبداعية حية

تتصل به وتستحضر أبعاده ، بما فيها من هزائم وانتصار ،وحلم في صنع مستقبل إنساني أفضل[29].

من خلالها الإنجاز الإنساني ،في صورة حركية لا تقدس التراث بقدر ما تتفاعل معه وفق رؤية معاصرة ، تعمل على إنتاج دلالات جديدة ترتبط بروح العصر.

5- رموز الشخصيات الدينيـة والتاريخيـة:

5-1 رموز الشخصيات الدينية:

للشخصيات الدينيـة أهـمية بـارزة وجلية في مدونة الشاعر علي فودة ، فهو يلجأ إلى توظيفها عندما يجد أنّ هناك علاقة تشابه ونقاط مشتركة بينه وبين الشخصية المستلهمة ، ويتخذ من هذه الشخصيات قناعا يصور به ما يعانيه من الظلـم والحرمان فعبر من خلالها عن جوانب من تجاربه الخاصة.

"فشاع في شعـرنا المعاصر استخدام الشخصية التراثية على نحو لم يعرفه شعرنا من قبل في أي عصر من عصوره حتى أصبحت سمة من أبرز سمات هذا العصر. وكانت شخصيات التراث هي هذه الأصوات التي استطاع من خلالها أن يعبر عن كل أتراحه وأفراحه ،أن يبكي هزيمته أحر البكاء وأصدقه وأفجعه ، وأن يتجاوزها في نفس الوقت بينما كان كل كيان الأمة يئن منسحقا تحت وطأتها الثقيلة ،وأن يستشرف النصر ويرهص به في أفق لم تكن تلوح فيه بارقة نصر ، وأن يتغنى للحرية أعذب الغناء وأنبله ،وأن يتمرد على القهر ، ويقول "لا " في

وجه من قالوا "نعم" وفي وجه من فرضوا على الجميع أن يقولوا "نعم" ، أن يقولوا "لا" في وقت كان فيه من يقول "لا" لا يرتوي إلا بالدموع [30].

يقول في قصيدة " بلال الحبشي "

تشتدُ الحاجة أحيانا

تصبح كسرة خبز يابسة هدفي

كوب اللبن يصير الحلم

فأتذمر:

لا كنتُ ، ولا كان الجوع ، ولا كانت معصرة الأحزان

إن كان الله قد انتحر

وصار الشيطان

سيّد هذا العالم

بلال يا بلال

ماذا وراء لعنة الزنج ،

ولعنة السوط ،

ولعنة الحبال ؟

ماذا وقد عضّك ناب الجوع

واستسلم فيك طائر الجسد ؟

بلال يا بلال

ماذا عليك لو دخلت في الحوار ، واسترحت للأبد ؟

-أحــد ..
-أحــد..
-أحــد.[31]

ويستحضر الشاعر علي فودة تجربة الصحابي الجليل بلال الحبشي رضي الله عنه بوصفها رمزا حيا للمقاومة ، وتحمل الآلام في سبيل الثبات على المبدأ ، إذ جعل الشاعر من شخصية بلال معادلا موضوعيا للشعب الفلسطيني المقاوم .ليشكل بذلك حضور الصحابي الجليل "بلال الحبشي" ، في مدونة الشعر الفلسطيني المعاصر دلالات جديدة ، ومبتكرة تمتص الدلالات التراثية القديمة ، وتتسم بحركية متجددة وقابلية مرنة للغوص في عالم علاقات مبتكرة في قوالب جديدة ومتنوعة بقراءات متعددة الأبعاد والرؤى ، وذلك تماشيا مع ما يفرضه العصر ومتطلباته .ومنه فقد وجد الشّاعر علي فودة في شخصية بلال الحبشي مجالاً خصبًا في إثراء تجاربه الشعرية المعاصرة ، ووجد فيها كما يقال طاقات تعبيرية إيحائية متميزة ومرفأ يريح عليه جوانحه المتعبة من هموم الحياة ، وقسوة الواقع واختلال المبادئ والأنظمة ، من حالات التمزق التي تعتري الإنسان المعاصر فظهور شخصية هذا الصحابي الجليل في الشعر الفلسطيني المقاوم لتكون رمزا للثائر المتمرد على الواقع المعيش من فقر وحرمان وظلم وهوان ، ولا ريب أنّ هذا التماثل الدلالي بين حياة " بلال الحبشي" وحياة الإنسان الفلسطيني المعاصر ينتج دلالات جديدة منها الثورة ولهذا يستثمر الشّاعر هذه الأبعاد ليعقد صلة بينه وبين الإنسان الفلسطيني المضطهد.

كما قام الشاعر علي فودة بتوظيفه لشخصية عيسى عليه السلام في قصيدته " عيسى بن مريم بيننا "

بشراكم طلع النهار
عيسى بن مريم بيننا
الفجر هلاّ عليكم بعد انتظار
والبدر أشرق في السماء ، وبعدها طال الأفول

عيسى يقول :

الصلب مر يا حزاني والضياع

والجوع ذل يا جياع
لكنما الشهداء من أجل الحقول
قالوا بأبواق المحبة للرسول
الحزن يكفي يا حزاني والضياع
والخبز آت يا جياع.[32]

تعد شخصية النبي " عيسى " عليه السلام من الشخصيات البارزة في مدونة الشعر المعاصر ، وذلك لما أحسه الشاعر المعاصر إزاءها لأنّه أكثر حرية ، فأطلق لنفسه العنان في تأويل ملامحها وتقمصها ، فكانت أغلب ملامح السيد المسيح في الشعر المعاصر مستمدة من الموروث المسيحي ، خصوصًا "الصلب"و "الفداء" و "الحياة من خلال الموت" وثلاثتها ملامح مسيحية.

وعلى هذه الملامح الثلاثة أسقط شعراؤنا معظم الدلالات المعاصرة التي استخدموا فيها شخصية المسيح ، فعلى ملمح "الصلب"أسقطوا كل الآلام التي يتحملها الشّاعر المعاصر والإنسان المعاصر عموما ،سواء أكانت تلك الآلام مادية أم معنوية ،وقد افتتن شاعرنا المعاصر بتصوير نفسه مسيحا على الصليب. ليرمز من خلاله إلى البطل الثوري فالمسيح هو ذاك الفلسطيني المشتت في ربوع العالم فصوّر الإنسان الفلسطيني المشرد في صورة المسيح الذي تحمل محنة الصلب . وبهذا احتلت شخصية المسيح في قصائد الشعراء المعاصرين ، الذين استلهموها للتعبير عن تجاربهم الشعورية ومواقفهم الإنسانية ، من رحلة الألم والعذاب التي يعانيها الشّعب الفلسطيني ، والتي شكّلت رمزا لمعاناته ضد أشكال الظلم والقمع الصهيوني فكانت شخصية المسيح ذات جوانب متعددة ، وأبعاد عميقة ، لما تحتويه من أفكار وتجارب ترمز للانبعاث بعد الموت ، والفداء والتضحية ، والتطهر من الخطيئة والسلام والحب الإنساني الصافي ، وتحمل الآلام من أجل خلاص البشرية.

فوّحد شّاعرنا علي فودة بين شخصية المسيح – عليه السلام – وشخصية ذلك المقاوم الفلسطيني الثائر ، فكلاهما تعرض للصلب والتعذيب على أيدي اليهود ، وتحمل الآلام والعذابات في سبيل خلاص الآخرين ، وكلاهما يحمل رسالته التي لها ومن أجلها يموت ، وكلاهـما يصل إلى ذروة العطاء وفداء الروح من أجل سعادة الآخر وتحريره من الذل والهوان ، وبعث روح الأمل والتفاؤل في الخلاص من الاحتلال الإسرائيلي ، وإقامة دولة فلسطين الحرة.

فوظّف شاعر المقاومة الفلسطينية علي فودة شخصية " عيسى عليه السلام " ليسقطها على الواقع الفلسطيني الأليم ، واقع المعاناة والحرمان ، فتضحيته تعادل تضحية وكفاح الشعب الفلسطيني.

2-5 رموز الشخصيات التاريخية:

باتت رموز الشخصيات التاريخية في الشعر المعاصر لوحات فنية ملونة بمختلف الألوان وصورا مضيئة تُبين وتُمهد الطريق للكشف العميق والباطن أو الرؤية الداخلية فلم تعد هذه الشخصيات التاريخية بمعناها التقريري المباشر ، فكسّرت النمطية الأمامية وحجبت الرؤية ، بل صارت تسبح في زمن شعري لا متناهي ،لأنّ الشاعر المعاصر قد برع في تفجيرها فتشعب انفعاله من خلالها حتى أصبحت هــذه الشــخصيات تـدل على المطلق الممثل في واقع متردي وحزين تعيشه الأمة العربية في مشارقها ومغاربها فصار هم الشاعر مصير وحال هذه الأمة بتوحيد رموز ماضيها برموز حاضرها .

فأصبح بذلك التاريخ في سيّاق الخطاب الشعري ، من المصادر الغزيرة التي يستقي منها الشاعر المعاصر الكثير من الشخصيات والأحداث والوقائع التي باتت تشكل جزءا من الإرث التاريخي الذي ترسخ في ذاكرة المنظومة الثقافية العربية متخذا بذلك أقنعة معيّنة للتعبير عن موقفه المبهم ، أو ليحاكم نقائص العصر الحديث من خلالها وبالتالي الوصول إلى تحقيق غاية شعرية تؤدي وظيفة ودلالة جمالية أو فكرية.

ويقول في قصيدة: " فلسطيني كحد السيف "

تعرف الأيتام والشهداء في " قنير" ..تعرفهم
وتعرف كيف تحفظ قبلة الغياب تذكارا
وتعرف كيف باعت خاتما ، حلقا وإسوارا
لتصنع من بنات الجيل ثوّرا
وتعرف كيف تضرم ثورة كبرى
وتشرب من دم الأعداء أنهارا
وتعرف كيف تنشئ طفلها العادي
فتخلق منه (جيفــارا)
يعيش ، يعيش حتى يأخذ الثارا
يعيش
يعيش

حتى يأخذ الثار.[33]

ويقول أيضا:

جيفارا غزة
غزة في القلب
وفارسها أنت
فماذا تفعل يا جيفارا
حين يمدّون أصابعهم كي تتحرش بالنهد البكر لغزة ؟
أستل بروقي برقا برقا
أقتحم نوافذهم
أصعقهم حنشا حنشا
أهرسهم أفعى أفعى
غزة في القلب
وقلبك صلب ،
حبك صعب يا جيفارا[34].

نجد الشاعر علي فودة يربط ثأر قضيته الفلسطينية بأحد أقوى رموز المقاومة العالمية الشهيرة المناضل صاحب الأصول البوليفية (جيفارا) ممّا جعل دلالة الثأر التراثية أكثر معاصرة وتجذرا في النفوس ، فكان جيفارا رمزا فلسفيا حاضرا ووسيلة لبعث الروح الثورية والحماسية في أبناء فلسطين.

"ولهذا اعتُبِر التاريخ وشخوصه وأحداثه ، منجمًا ثريًا ومادة خصبة تحمل طاقات هائلة يعكس الشّاعر المعاصر من خلال الارتداد والرجوع إليه روح العصر ، ويعيد بناء الماضي وفق رؤية إنسانية معاصرة ، تكشف عن هموم الإنسان ومعاناته وكذا طموحه وأحلامه ، ممّا يعني أنّ الماضي يعيش في الحاضر ، ويرتبط معه بعلاقة جدلية تعتمد على التأثير والتأثر ، حيث يستلهم الشّاعر أوجه التشابه بين أحداث الماضي ، ووقائع العصر وظروفه ، سلبًا أو إيجابًا[35].

خـــاتمة:

شكلت بنية النّص جانبا مهما في توليد الدلالة ، وذلك من خلال دراسة شاملة لمكونات النص الشعري ، والتي تمثلت في بنية التوتر وديناميكية المخالفة التي اعتبرت من مقومات الشعر المعاصر ، ومرتكزا من مرتكزات القصيدة المعاصرة .

وظف الشاعر علي فودة الاستعارة في بناء أغلب قصائده الشعرية ، لأنّ تطور المجتمعات بالضرورة يتيح للشاعر حقلا واسعا من الاستعارات التي تعدمنأهم المنبهات الأسلوبية التي تعتمد نظام الخروج عن المألوف ، لتحقيق علاقات تجاوزية جديدة.

اعتبر الشاعر علي فودة من أهم الشعراء الفلسطينيين الذين واكبوا عصرهم وتطوره فاختاروا لموهبتهم الشعر المعاصر لإبداعهم واعيين بتقنياته الحديثة ، وما يقدمه لهم من انفتاح على العالم خارجين بذلك عن كل ما هو مألوف.

استطاع الشاعر الفلسطيني علي فودة التخلص من إطار القصيدة الثابت وبنائها الكتابي المحدد والانفتاح على أشكال كتابية وفضاءات إيحائية متجددة ، لا تخضع إلاّ لتجربته وطبيعة انفعالاته التي تعبر عن تصوراته ، لأنّ التجديد في أشكال الكتابة يقودنا حتما إلى التجديد في مضامينها.

استغل الشاعر ما يكتنزه تاريخ الأمة من طاقات مخزونة في الذاكرة الجماعية إكساب التجربة الشعرية دلالات خصبة ، تنسجم مع أبعاد التجربة المعاصرة ، وتمنحها لونا من الكلية والشمول ، بحيث تتخطى حاجز الزمن ، فيمتزج في إطارها الماضي والحاضر في وحدة شاملة.

خلق علاقات جديدة ومتميّزة بين عناصر اللّغة ،وذلك بالانتقال من الدلالة الصريحة إلى الدلالة الباطنية والخفية لما لها من أهمية في منح النص الشعري قدرا عاليا من الكثافة الدلالية استنطاق التراث وتوظيفه لأنّه غني بالمضامين والدلالات والرموز التي تساعد الشاعر في التعبير عن ما يختلج في نفسه بشكل يثير ذهن القارئ ، كما

يحمي الشاعر من القهر السياسي والاجتماعي .للتراث أهمية بالغة للشاعر العربي المعاصر ، فهو يستمد منه الرؤية والتاريخ ، وقد وظفه الشاعر علي فودة ، لتحقيق أكبر قدر ممكن من التواصل مع التراث ، لإضفاء سمة الحداثة والجدة .عمد الشاعر علي فودة إلى تقنية الانزياح

الدلالي ، من أجل إخراج اللّغة من دائرة المعاني المعجمية الضيّقة ، والمعمارية المحددة ، إلى دائرة النشاط الإنساني الحي ، لأنّ الشعر تجاوز مصحوب بالتجديد والابتكار والإبداع.

هوامش البحث:

1. نعمان عبد السميع متولي: الانزياح اللغوي أصوله وأثره في بنية النص ، دار العلم للايمان والنشر والتوزيع د — ط ، 2006م ، الاسكندرية ، ص 33.
2. ابن منظور : لسان العرب ، ، ص470
3. لبيد بن ربيعة العامري : الديوان ، ، ص 147.
4. أحمد بن فارس : مقاييس اللغة ، ص 418.
5. عبد الرحمان الخليل الفراهيدي : العين ، ،162
6. ذو الرمة: الديوان ، تح أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1995م ،ص 130.
7. أحمد بن نعمان فارس : مقاييس اللغة ، ص 418 .
8. نعمان عبد السميع متولي : الانزياح اللغوي أصوله وأثره في بنية النّص ، ص 33.
9. أحمد بوزيان : شعرية الانزياح (قراءة في المنجز النقدي العربي القديم) ، ص 104.
10. عبدالله خضر حمد : أسلوبية الإنزياح في شعر المعلقات ، ص 153
11. محمد عبد المطلب : البلاغة والأسلوبية ، ص 378.
12. علي فودة : الديوان ، ص 235-236.
13. طه وادي: جماليات القصيدة المعاصرة ، ص 82.
14. ضرغام الدرة : التطور الدلالي في لغة الشعر ، ص 33.
15. فتيحةكحلوش: بلاغةالمكان"قراءةفيمكانيةالنّصالشعري" ،مؤسسةالإنتشارالعربي ، ط1 ، 2008م ،بيروتلبنان ،ص25.
16. عمر خليل : العلاقات السيّاقية لظاهرة العدول في العربية ، ص 946.
17. ضرغام الدرة : التطور الدلالي في لغة الشعر ، ص 37.
18. محمد خليل الجلايلة: بنائية اللّغة الشعرية عند الهذليين ، ، ص 145.
19. ينظر فتيحة كحلوش:بلاغة المكان ،قراءة في مكانية النّص الشعري ،ص249.
20. أحمد بقار: الخصائص الأسلوبيّة وأبعادها الدلالية ، ، ص218.
21. عبد الله خضر حمد: أسلوبيّة الانزياح في شعر المعلقات ، ص165.
22. سمير الشيخ: القصائد المائية ، دراسة أسلوبيّة في شعر نزار قباني ، ،ص36.
23. علي فودة : الديوان ، ص 295.
24. علي فودة : الديوان ص 9
25. الضمور عماد عبد الوهاب خليل : المقاومة في شعر علي فودة ، ، ص 198.

26. علي فودة : الديوان ، ص 176.
27. سرور مصطفى يحي مصطفى : التشكيل الجمالي في شعر علي فودة ، ص 87-88.
28. علي نظري ، يونس وليني : استدعاء شخصيات النقاد في شعر حمود درويش ، ، ص 12.
29. ينظر:وادي طه:جماليات القصيدة المعاصرة ،دار المعارف ، ط2 ، القاهرة ،ص55.
30. عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، ت محمد الفاضلي ، ص 37
31. ينظر: ماجد النعامي:توظيف التراث والشخصيات الجهادية والإسلامية ،في شعر إبراهيم المقادمة ،ص 46.
32. علي عشري زايد:استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر المعاصر ،ص.7
33. الضمور عماد عبد الوهاب : المقاومة في شعر علي فودة ، ص 205.
34. علي فودة ،الديوان ، ص 46-47.
35. عاطي عبيات زين العابدين فرامرزي ، يوسف نجان تراد ،الرمز التاريخي وحقوله في الشعر الفلسطيني المعاصر ،ص 406.
36. علي فودة : الديوان ، ص 12.
37. علي عشري زايد:استدعاء الشخصيات التراثية ،ص82.
38. عاطي عبيات ، زين العابدين فرامرزي ، يوسف نجان تراد : الرمزالتاريخي ، ص 421.

قـــــائمة المصادر والمراجع:

1- ابن منظور: لسان العرب ، دار صادر للطباعة والنشر ، ج 2 ، د-ط ، 1988م ، بيروت .
2- أحمد بقار: الخصائص الأسلوبيّة وأبعادها الدلالية ، في شعر عبد الله حمادي ، رسالة دكتوراه ،2013م ، الجزائر.
3- أحمد بن فارس: مقاييس اللغة ، دار الجيل ، ج 5 ، د —ط ، 1967م ، بيروت - لبنان.
4- أحمد بوزيان: شعرية الانزياح (قراءة في المنجز النقدي العربي القديم) مجلة آفاق الثقافة والتراث ، ع: 84 ، 1ديسمبر 2013م ، الإمارات.
5- ذو الرمة: الديوان ، تح أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1995م.
6- سمير الشيخ: القصائد المائية ، دراسة أسلوبيّة في شعر نزار قباني ، دار الفارابي ، ط1 ،2008 م ، بيروت- لبنان.
7- الضمور عماد عبد الوهاب: المقاومة في شعر علي فودة ، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية ، ع: 1 ، مج 20 ، 2012م ، الجامعة الإسلامية ، غزة .

8- طه وادي: جماليات القصيدة المعاصرة ، دار المعارف ، ط 2 ، 1989م ، القاهرة.
9- عاطي عبيات ، زين العابدين فرامرزي ، يوسف نجان تراد ، الرمز التاريخي وحقوله في الشعر الفلسطيني المعاصر ،
10- عبد الرحمان الخليل الفراهيدي: العين ، دار مكتبة الهلال ،ج 3، د — ط ، بيروت.
11- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ، ت محمد الفاضلي ،المكتبة العصرية ، ط 1998 ،1م ، بيروت.
12- علي عشري زايد:استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر المعاصر ،سرور مصطفى يحي مصطفى: التشكيل الجمالي في شعر علي فودة ، رسالة ماجستير ، 2017م ، جامعة غزة — فلسطين ، ص 87-88.
13- علي فودة: الديوان ، ص 235-236.
14- علي فودة: الديوان ،..
15- علي نظري ، يونس وليني: استدعاء شخصيات النقاد في شعر حمود درويش ،العدد: 5 ، خريف 1991م ، بيروت.
16- عمر خليل: العلاقات السيّاقية لظاهرة العدول في العربية ، .....
17- فتيحة كحلوش: بلاغة المكان "قراءة في مكانية النّص الشعري" ، مؤسسة الإنتشار العربي ، ط1 ، 2008م ، بيروت — لبنان.
18- لبيد بن ربيعة العامري: الديوان ، دار صادر ، د- ط ، 1966 م ، بيروت — لبنان.
19- ماجد النعامي:توظيف التراث والشخصيات الجهادية والإسلامية ،في شعر إبراهيم المقادمة.
20- محمد خليل الجلايلة: بنائية اللّغة الشعرية عند الهذليين ، عالم الكتب الحديث ، ط1 ، 2004 م ، أربد — الأردن .
21- محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية ، دار توبقال للطباعة ، ط1 ، 1994م ، القاهرة.
22- نعمان عبد السميع متولي: الانزياح اللغوي أصوله وأثره في بنية النص ، دار العلم للإيمان والنشر والتوزيع د — ط ، 2006م ، الاسكندرية.